سلسلة الكتيبات والرسائل

20

سؤالاً فقهيًا

حَوْلَ الأَذْكَارِ الشَّرْعِيَّةِ

بقلم فضيلة الشيخ

د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

رئيس المجلس العلمي للإفتاء برابطة أهل الحديث باليمن

أستاذ الفقه المشارك بجامعة سيئون

بمناسبة العشر من ذي الحجة، أسئلة حول فقه الأذكار الشرعية، أجاب عنها الشيخ الدكتور طالب بن عمر الكثيري غفر الله له

السؤال الأول: من هو الذاكر لله كثيرًا؟

الجواب: من داوم على أذكار اليوم والليلة، التي شرعت باختلاف الأحوال؛ كذكر النوم والخروج ورؤية الريح والمبتلى ونحوها فهو من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات؛ كما أفتى بذلك ابن الصلاح رحمه الله، ويدخل في ذلك من كان ذكره لله عز وجل على كل أحيانه؛ كما كان هدي النبي ﷺ، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال الثاني: لو زدت على العدد المخصص الذي جاء في فضل الذكر، هل يكتب لي أجره، أم يلزمني ألا أزيد عليه؟

الجواب: ذهب بعض أهل العلم إلى أن الزائد أتى بالمقصود وزيادة فيحصل له الأجر المنصوص عليه، وممن اختار هذا النووي رحمه الله، وذهب بعضهم إلى أنه لا يحصل الأجر المنصوص عليه المقيد بعدد من الذكر لمن زاد عليه، واختاره القرافي رحمه الله؛ التزامًا بالوارد، ولأن مبنى الذكر على التوقيف، وقد يكون للعدد مزية اعتبرها الشارع، ثم لما في ملاحظة عدم الزيادة على العدد المنصوص عليه من مزيد استحضار وضبط للذكر، وهذا الأخير له وجه كما رأيت، لكنه في غير ما عرفنا قصد الشارع الزيادة عليه؛ كحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه"، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال الثالث: كيف نجمع بين تفاضل الأجور الواردة في الأدلة على ذات الذكر الواحد؟

الجواب: ما يقع من اختلاف الأحاديث في ذكر الأجر المترتب على بعض الأذكار مرده إلى اختلاف أحوال الذاكرين، ولما كان الذاكرون في ادراكاتهم وفهومهم مختلفين كان ثوابهم بحسب ذلك، فمن قام بحق الذكر واستحضر معانيه بقلبه، وتأملها بفهمه رُزق أجرها الأكمل، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال الرابع: يزعم بعضهم أن ذكر الله بضمير الغائب (هو) أفضل من ذكره بقول: (لا إله إلا الله)؛ بحجة أنه يخاف أن يموت بين النفي والإثبات؟

الجواب: صح عن نبينا ﷺ أنه قال: "أفضل الذكر لا إله إلا الله"، رواه الترمذي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، بل جاء في حديث شعب الإيمان قوله: "أعلاها قول لا إله إلا الله"، ولو مات العبد في هذه الحال لم يمت

إلا على ما قصده ونواه، كما نبّه عليه ابن تيمية رحمه الله، وأما ذكر الله عز وجل بضمير الغائب المفرد (هو) فإنه لم يرد من هدي نبينا ﷺ، بل هو من المحدثات، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال الخامس: تختلف صيغ بعض الأذكار – كالصلاة على النبي ﷺ– فأيُّها أفضل ؟.

الجواب: قال الطبري رحمه الله: "إن ذلك من الاختلاف المباح، فأيُّ لفظ ذكره المرء أجزأ، والأفضل أن يستعمل أكمله وأبلغه"، وقال ابن حجر رحمه الله: "والذي يظهر أن اللفظ إذا كان بمعنى اللفظ الآخر سواء؛ كما في أزواجه وأمهات المؤمنين فالأولى الاقتصار في كل مرة على أحدهما، وإن كان اللفظ يستقل بزيادة معنى، ليس في اللفظ الآخر البتة، فالأولى الإتيان به، ويحمل على أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر؛ كما تقدم، وإن كان يزيد على الآخر في المعنى شيئًا ما فلا بأس بالإتيان به احتياطًا"، وقال ابن القيم رحمه الله: "الأولى أن يستعمل كل لفظ ثبت على حده؛ فبذلك يحصل للإتيان بجميع ما ورد، بخلاف ما إذا قال الجميع دفعة واحدة، فإن الغالب على الظن أنه ﷺ لم يقله كذلك".

وأفضل الصيغ الصلاة الإبراهيمية، وقد يتركها بعضهم لطولها، ويكثر من قوله: اللهم صلِّ على مُحَمَّد؛ لأجل تحصيل زيادة العدد، وليس بجيد؛ لوجهين: الأول: أن مقام الذكر كالدعاء مقام بسط ومناجاة وثناء على الله، والثاني: أن عدد "كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم" لا يقدّر عدده إلا الله تعالى، وأما تفضيل صيغة: اللهم صل على مُحَمَّد كلما ذكره الذاكرون، وكلما سها عن ذكره الغافلون على الوارد في الصحيحين من تعليمنا كيفية الصلاة عليه، فليس بصحيح، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال السادس: هل يؤجر من يذكر الله دون تحريك لسانه ؟.

الجواب: الذكر ذكران: الأول: ذكر الله بلسان المقال، وهو المراد بما جاء من ترتب الأجور على الذكر في النصوص، ولا بد فيه من نطق، وأقله على الصحيح أن يُخرج الحروف من مخارجها، وقيل: لا بد أن يُسمع نفسه، والثاني: ذكر الله بلسان الحال: بأن يستشعر الإنسان بقلبه تذكر مراقبة الله ومشاهدته له، وتعظيمه ومحبته، والتوكل عليه ونحوها، ويؤجر عليه أيضًا، قال النووي رحمه الله: "قال القاضي: واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب؟ فقيل: تكتبه، ويجعل الله تعالى لهم علامة يعرفونه بها، وقيل: لا يكتبونه؛ لأنه لا يطلع عليه غير الله، قلت: الصحيح أنهم يكتبونه، وأن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من القلب وحده"، كما في شرحه لصحيح مسلم، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "الذكر يقع تارة باللسان، ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه، ولكن يشترط ألا يقصد به غير معناه، وإن انضاف على النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر، وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى، ونفي النقائص عنه ازداد كمالاً، فإن وقع ذلك

في عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالاً، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال"، كذا في الفتح، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال السابع: تُذكر مع فضائل بعض الأذكار قيود، فهل يلزم الإتيان بها لإدراك أجرها؟.

الجواب: إذا تحقق النطق بالذكر بشروطه الواردة معه وقع أجره؛ كمثل حديث: "من قال حين ينصرف من صلاة الغداة ـ يعني الفجر ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات أُعطي بهن سبعاً: كتب الله له بهن عشر حسنات، ومحا عنه بهن عشر سيئات، ورفع له بهن عشر درجات، وكنّ له عِدل عشر نسمات ـ يعني كأنه أعتق عشر رقاب ـ، وكن له حفظاً من الشيطان، وحرزاً من المكروه ولم يلحقه في ذاك اليوم ذنب إلا الشرك بالله "، وفي رواية: "ولم يكن أحد أفضل منه إلا من فعل مثله، ومن قالهن حين ينصرف من المغرب أُعطي مثل ذلك ليلته"، جاء له شرط في حديث عبد الرحمن بن غنم ﷺ مرفوعًا: "من قال قبل أن ينصرف، ويثني رجليه من صلاة المغرب والصبح"، فاشترط أن تأتي به قبل أن تثني رجليك؛ أي وأنت على هيئة ما سلّمت عليه من التشهد، متوركًا أو مفترشًا.

وكذلك: نحو "من قال: سبحان الله مائة مرة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، كان أفضل من مائة بدنة، "من قال: حسبي الله، لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم سبع مرات ـ في الصباح والمساء ـ كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة"، "من صلى عليّ حين يمسي عشراً، وحين يصبح عشراً، أدركته شفاعتي يوم القيامة"، فشرط هذه الأذكار أن يقولها في الصباح والمساء معًا؛ ليدرك هذا الأجر، فلا يتركه في أحدهما، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال الثامن: هل يجوز تخصيص الذكر المطلق بعدد معين ؟.

الجواب: ما أطلقه الشارع لا يصح تخصيصه بعدد معين، بل إن ظهر قصد القربة في هذا التخصيص غير الوارد دخل في مسمى الابتداع، فإن قصد أمرًا معقولاً يقصد مثله أهل العقول السليمة؛ كما في ترتيب الشخص لنفسه أورادًا معينة يحافظ عليها ويضبطها، بترتيب معين، جاز ذلك بشروط، منها: ألا يخالف قصد الشارع في إطلاقها، وألا يقصد بهذا العدد المخصوص القربة، وألا يوهم غيره مشروعيتها، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال التاسع: هل يحصل الأجر في الذكر المخصوص بعدد لو فرّقه؟

الجواب: ظاهر إطلاق الأحاديث حصول الأجر؛ سواءٌ والى الذكر أو فرّقه في عدة مجالس؛ كمن هلل مائة مرة في يومه، أو جعل بعضه أول النهار وبعضه آخره، كما أشار لهذا النووي رحمه الله، لكن الفضل أن يأتي بها متوالية في أول النهار ليكون حرزًا له في جميع نهاره، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال العاشر: هل الأولى أن أرفع صوتي بالذكر أو أن أخفضه ؟.

الجواب: الأصل في الذكر خفض الصوت به، فإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه، قال تعالى: {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ}، ويشرع رفع الصوت فيما جاءت به الأدلة؛ كما في التكبير بعد الفرائض وأيام الأعياد، وفي التلبية وتشميت العاطس وغيرها، أو دعت له الحاجة؛ كقصد التعليم أو الاقتداء ونحو ذلك، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال الحادي عشر: هنا إشكال: وهو الجمع بين أحاديث الفضائل، وما فيها أن العبد إذا قال كذا غفرت ذنوبه، ثم إذا قال كذا غفرت ذنوبه على أيّ شيء يقع التكفير في الثانية ؟.

الجواب: أن يعلم السائل أن العمل إذا وقع كاملاً وقع أجره كاملاً، وإنما يكمل العمل إذا توفرت شروطه من الإخلاص والاستحضار والتدبر ونحو ذلك، وارتفعت موانعه من العجب والغفلة، يقول ابن القيم رحمه الله كما في الوابل الصيب رحمه الله: "تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسيئات؛ بحسب كماله ونقصانه ... ثم قال: وليس الشأن في العمل إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه"، قال ابن حيدرة عفا الله عنه: وكون العبد يحرص أن يكون ممن يغفر له مرة بعد مرة مما يشرع؛ لحديث: "ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك، وإن كنت مغفوراً لك؟ قل: لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحكيم الكريم، لا إله إلا الله سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين) ، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال الثاني عشر: ورد في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يقول: "سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته"، فهل يشرع مثل هذا في التحميد، والتكبير، والحوقلة، والاستغفار؟.

الجواب: ألفاظ الأذكار توقيفية، والتسبيح بهذه الصيغة ثابت في صحيح مسلم، وقد جاء عند أبي داود والترمذي، وحسنه ابن حجر رحمهم الله أن النبي ﷺ قال: "أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا، أو أفضل"، فقال: "سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك"، وفي الحديث ضعف، ومن قَوَى هذا الحديث عمل به، وجاء أيضًا أنه قال لأبي أمامة رضي الله عنه: "أفلا أخبرك بأكثر – أو أفضل – من ذكرك الليل مع النهار، والنهار مع الليل؟ أن تقول: سبحان الله عدد ما خلق، وسبحان الله ملء ما خلق، وسبحان الله عدد ما في الأرض والسماء، وسبحان الله ملء ما في الأرض والسماء، وسبحان الله عدد ما أحصى كتابه، وسبحان الله عدد كل شيء، وسبحان الله ملء كل شيء، وتقول الحمد مثل

ذلك "، وبوب عليه ابن خزيمة: باب فضل التحميد والتسبيح والتكبير يوصف بالعدد الكثير من خلق الله أو غير خلقه، انتهى، ولا أعلم ورود مثل هذه الصيغة في الاستغفار، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال الثالث عشر: هل أذكار النوم تقال إذا نام الإنسان في النهار ؟.

الجواب: ما جاء من أذكار النوم جاء بمثل لفظ: "لا ينام حتى يقرأ"، ولفظ: "إذا أويت إلى فراشك"، ولفظ: "إذا أخذت مضجعك من النوم"، وكل هذه العبارات تدل على مشروعية الإتيان بها؛ سواء نام ليلاً أو نهارًا، إلا ما ورد تخصيصه منها بالليل، وأعرف منها أربعة أذكار: قراءة آية الكرسي، فإنه قال: "ولا يقربنك شيطان حتى تصبح"، أخرجه البخاري، وقراءة سور الكافرون، فإنه قال ﷺ: "إذا أخذت مضجعك من الليل"، وقراءة الإخلاص والمعوذتين، لقول عائشة ﵂: إن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما {قل هو الله أحد}، و{قل أعوذ برب الفلق}، و{قل أعوذ برب الناس}، وكذا حديث عبادة بن الصامت ﵁ عن النبي ﷺ قال: "من تعار من الليل، فقال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب، فإن توضأ، وصلى قبلت صلاته"، أخرجه البخاري، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال الرابع عشر: هل يلزمني الإتيان بجميع أذكار النوم أم لي أن آتي ببعضها ؟.

الجواب: أذكار النوم على أربعة أنواع: منها: ما هو قراءة قرآن، ومنها: ما هو ذكر لله تعالى؛ من تسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، ومنها: ما هو تعوذ بالله عز وجل، ومنها: وما هو تفويض الأمر لله تعالى؛ لأنه أسلم نفسه لربه، ولا حرج من الإتيان ببعضها، وله أن يراعي أحواله، فيخص كل حالة ووقت بما يطابقه من الدعاء، كما نبّه عليه القاضي عياض رحمه الله، والعبد موسع عليه في قول ما شاء من ذلك مما ورد، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال الخامس عشر: هل هناك أذكار لليل ؟.

الجواب: أذكار الصباح تشرع أول الصباح، من بعد الفجر إلى شروق الشمس، وأذكار المساء تشرع في طرف النهار الأخير، من بعد العصر إلى المغرب، قال تعالى: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ}، وأما من بعد المغرب ودخول الليلة فقد ورد ذكران: الأول: قراءة آخر آيتين من سورة البقرة، لما جاء في الصحيحين من قول النبي ﷺ: "من قرأهما في ليلة كفتاه"، والثاني: قراءة سورة الملك؛ كما في الأثر عن ابن مسعود ﵁ قال: "هي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك، من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب"، أخرجه الحاكم، وله حكم الرفع، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال السادس عشر: هل يلزم ترتيب الأذكار بحسب ما ورد، أو يجوز التقديم والتأخير ؟.

الجواب: ألفاظ الأذكار توقيفية كما ذكر ابن حجر رحمه الله وغيره، ولعل في ترتيبها الوارد حكمة، يخصص فضلها به، ويستثنى من ذلك ما صرح فيه النبي ﷺ بجواز التقديم والتأخير فيها؛ كحديث سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر لا يضرك بأيهنّ بدأت"، أخرجه مسلم، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال السابع عشر: هل أعقد الذكر بأصابعي أم أترك ذلك؟

الجواب: جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "خصلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة، وهما يسير، ومن يعمل بهما قليل؛ يسبح الله في دبر كل صلاة عشرًا، ويكبر عشرًا، ويحمد عشرًا، فرأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده"، الحديث، بل جاء الأمر بذلك؛ كما في حديث يسيرة ﷺ، قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: "عليكنّ بالتسبيح والتهليل والتقديس، واعقدن بالأنامل؛ فإنهن مسؤولات مستنطقات"، أخرجه أبو داود والترمذي، وعند أبي داود، قال: بيمينه، فعقد الأصابع مع كل لفظةِ ذكرٍ من السنة، والسنة خير، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال الثامن عشر: ما ضابط استحضار الذكر الذي يعظم به الأجر ؟

الجواب: لذلك علامات، منها: أن يقع في قلبه التعظيم والخوف من الله عز وجل، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}، ومنها أن تدمع عيناه، قال النبي ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله تعالى بظله: "ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه"، متفق عليه، وفقنا الله وإياكم لكل خير، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال التاسع عشر: هل يشمل ذكر الله تعالى بعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الشمس قراءة القرآن الكريم ؟

الجواب: لا شك أن قراءة القرآن أفضل الذكر؛ لأنه كلام الله، قال أبو عبد الرحمن السلمي: فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرب على خلقه، ذلك أنه منه، وما جاء في الحديث: "أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"، قيل: أيّ أحب الكلام المتضمن للذكر، وقيل: أحب كلام البشر، وقد يعرض للمفضول ما يجعله فاضلاً، قال النووي رحمه الله: "قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق، فأما المأثور في وقت أو حال ونحو ذلك فالاشتغال به أفضل"، وقد روى الطبري عن عمرو بن أبي سلمة قال: سألت الأوزاعي عن قراءة القرآن أعجب إليك أم الذكر؟ فقال: سل أبا مُحَمَّد- يعني سعيد بن المسيب- فسألته، فقال: بل القرآن، قال الأوزاعي: إنه ليس شيء يعدل القرآن، ولكن إنما كان من هدي من سلف يذكرون الله

تعالى قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، انظر هذا الأثر في التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي، والله عز وجل أعلى وأعلم.

السؤال العشرون: ما آداب ذكر الله تعالى ؟

الجواب: قول الله تعالى: {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ}، اشتمل على ذكر سبعة آدابٍ من آداب ذكر الله: الأول: الإخلاص لله عز وجل، والثاني: التضرع والإلحاح وترك الاستعجال، والثالث: اقتران الذكر بالخوف والتعظيم لله؛ وذلك باستحضار كريم أسمائه وصفاته وعظيم أفعاله سبحانه، والرابع: أن يكون الذكر بين الجهر والخفاء، والخامس: أن يكون باللسان والقلب، وليس بالقلب وحده، والسادس: أن يكون في أوقات الغدو والآصال؛ لما فيهما من تفرغ القلب عن الشواغل قبل زحمة الأعمال، ولما فيهما من استحضار معاني الدعاء، والسابع: ترك الغفلة عن ذكر الله، أو في أثناء ذكره سبحانه، قال ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد: "وأفضل الذكر وأنفعه" ما واطأ القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده"، والله عز وجل أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وآله، وصحبه أجمعين.